الظاهرة وعليها نقوش مثلّثة لا يُهتدى الى حلّ رموزها بيد انّهُ على احد جدرانهِ صليب رباعيّ لم تقوَ عليهِ شياطين الدمار. ووجدتُ في بعض انحاء من إطارها حجارة ضخمة تخيّل للرائي انها بقايا سورٍ قديم وعلى الجانب الشمالي منها مقبرة وهي أَلحاد في صخرٍ لها طبقاتٌ مطلّة على خَبْتٍ من الارض يناوحها جنوبًا ندحةٌ فسيحةٌ مشمولٌ جانباها بالرسوم والانقاض

والآبار منبثّةٌ في اكثر جهاتها وقد رأيت منها ما يضيف على العشرين وعليها حوانيها (خرزتها) وكانها منقورة في صفاةٍ غير بعيدة القعر. على انّ المتبصر المدقّق بآثار هذه المدينة يقوم لديهِ من آثارها ما يثبت انها قد جُدّدت مرّاتٍ في ادوارٍ من الزّمن واخيرًا طُويت بعد النشر ليوم الحشر نفاذًا لقضاء مَن لا ردَّ لقضائهِ

فهذه عجالة سطّرتها تذكرة تدلّ على قوم رونق هذه المدينة وتحويل حالها فسبحان الذي لهُ علم الغيب ويتصرّف بالعباد كيف شاء واراد

فنّ التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس البيان في كلّية القديس يوسف (تابع لما سبق)

٣ الوحدات

الوحدات هي ثلاث: وحدة الواقعة ووحدة الزمان ووحدة المكان

١ وحدة الواقعة. ان ارسطو يقضي بوجوبها ويسمّيها ايضًا وحدة الروح لانّ الرواية التمثيليّة هي في اعتبارهِ بمثابة كائنٍ حيّ (ζῷον τι). ولا يخفى ان الوحدة هي قوام كل حياةٍ في العالم. فلم يعُد من ثمّ باب للجدال في وجوب وحدة الواقعة. ولذا نرى أئمّة الفنّ اجمعوا على الإفتاء بها والعمل بوجبها. وقد حدّها كورنيل بقولهِ انها «تقوم بوحدة العُقدة (Intrigue) اي العقبة في سبيل كِبار الاشخاص وبوحدة الخطَر». فجميع الهمم والمساعي تنصرف في اشتباك الاحوال الى تمهيد العقبة وحلّ العقدة لنصرة البطل او خذلانهِ. فيبقى هو مدّة التمثيل كلُّها مستجمعًا على ذاتهِ التشوّق معرّضًا لخطرٍ واحد منذ البداءة الى النهاية. فان زال الخطر انتهت الواقعة وان عرض غيرهُ كانت واقعة

جديدة. وقد صرّح كورنيل بانّ قولهُ هذا السابق لا ينفي تعدُّد العُقَد والاخطار الثانويّة كما ان وحدة الواقعة لا تنفي تعدُّد الوقائع الصغرى واشتمال هذه ايضًا على اصغر منها. فالمقصود اذن واقعة واحدة تامّة لا يجد الجمهور ارتياحًا الّا بانحلال عقدتها وظهور نتيجتها. وليست تتمُّ الّا بوقائع أُخر ناقصة هي بمنزلة الاجزاء لها. وما على المؤلف ان يعرض لأعين الحاضرين جميع هذه الوقائع الصغرى. بل لهُ ان يختار منها ما يراهُ احسن موقعًا في النفوس امّا بجمال مشهدها او بما تثيرهُ من عواصف الاهواء او غير ذلك ويخفي البواقي فيعرّفها الى السامعين بطريقة الإخبار او بوسيلة أُخرى يهتدي اليها بفنّه ولكن يشترط عليهِ ان تكون هذه الاجزاء ملتحمة (كما سبق القول في الكلام عن الموضوع) صادرة جميعها عن الفصل الاوّل كما تتفرّع الاغصان عن جذعها

امّا وقد علمنا كيفيّة تركيب الواقعة من عناصرها فلم يبقَ علينا سوى البيان عن هذه العناصر. فلكم من الكتبة أخطأوا الغرض المقصود من القول ان مدار الرواية على البطل. فحسبوا انّ وحدة الواقعة تقتضي ان لا تكون وقائعها الصغرى الّا مجموع ما جرى لفردٍ. وعلى هذا المبدإ الفاسد ألّفوا الرواية الواحدة من حوادث شتى لا علاقة بينها. وما رغبوا فيها الّا لانّها جرَت لفردٍ. كأنّما المراد من وحدة الواقعة سرد اخبار البطل او ترجمة حياتهِ. امّا ارباب الفنّ فيحكمون بانّ هذه الوحدة «لا تقوم بما يحدث لفردٍ بل بواقعة يشترك فيها كثيرون ووُجهتُها الى امرٍ واحدٍ». فكأنّما هي برازٌ بين فريقَين ساعيَين في حلّ العقدة الواحدة لنصرة البطل او خذلانهِ. لتأييد العمل او إحباطهِ

٣ وحدة الزمان لقد رأى ارسطو ان الاحرى بالرواية انحصار واقعتها في دَوْرة شمس او ما قارَب ذلك. والمراد «بانحصار واقعتها» انّ الحوادث التي تمثّلها في الرواية لا يقتضي حصولُها في الحقيقة اكثرَ من المدّة المعيّنة لها. وهذه المدّة التي اشار اليها ارسطو بدَورة شمس كانت موضع جدال طويل بين ارباب الفنّ. فقيل انّهُ كنى بذلك عن النهار فقط وقيل بل اراد الليل والنهار. وقيل... وقيل... فتضاربت الآراء في وحدة الزمان وذهب الكتبة فيها مذاهب فمنهم مَن توسّعوا بها فسمحوا بمدّة ٢٤ ساعة بل ٣٠ و٣٦ ومنهم مَن حصروها في ٦ ساعات بل ٣ بل دون ذلك. يقصدون بهذا ان وقائع الرواية لا يتعدّى حدوثها في الحقيقة الزمنَ اللازم لتمثيلها

وهذه الوحدة طريقة جرى عليها اليونان وليس غير الفرنسيس بعدهم اكبروا شأنها واطالوا البحث فيها وجروا بموجبها. فكورنيل نفسهُ بعد ان كان نافرًا منها رضخ لها. وكذلك الشاعر راسين. وربَّ رواية لهما انحصرت واقعتها في الزمن الواجب للتمثيل فقط. وقد جرى على مثالهما سائر الفرنسيس في القرنين السابع عشر والثامن عشر. ولا تسلْ عمَّا كلَّفتهم مراعاة هذه الوحدة من الاتعاب والكرب وما اوقعتهم فيهِ من الخلل والشواذّ. امَّا باقي الأمم كالانكليز والاسبان والالمان فلم يعبأوا بهذه السُنَّة بل كثيرًا ما سخروا بها وبذويها فتصرَّفوا كما شاءوا بالزمان. ولكم لهم من روايةٍ تعدَّت واقعتها الاشهر والسنين

٣ وحدة المكان لم يقل ارسطو شيئًا في هذا المعنى. ولقد كثر الاختلاف في وحدة المكان كما حدث في وحدة الزمان. فمنهم مَن قضى بان تتمّ الواقعة كلها في قاعةٍ لا تتعدَّاها. ومنهم مَن سمح ببيتٍ كامل. ومنهم مَن اباح مدينةً بما فيها. اعني ان بعض وقائع الرواية يصحّ ان تكون حدثت في احدى قاعات البيت او احد احياء المدينة. وبعض الوقائع في قاعةٍ اخرى او حيٍّ آخر من ذلك البيت او تلك المدينة. ولا حاجة الى القول ان الفرنسيس وحدهم على مثال اليونان راعوا في القرنين السالفين هذه السُنَّة ايضًا. امَّا المؤلفون من سائر الامم فنبذوها نبذَ النواة. فكنت ترى حوادث الواقعةِ في رواياتهم تارةً في مدينةٍ وطورًا في اخرى. بل كثيرًا ما انتقلت من مملكةٍ الى مملكة ومن قارَّةٍ الى غيرها. وكانت وحدة المكان ملغاةً في فرنسة قبل عصر كورنيل. لان الجمهور كان يرغب في تغيير مناظر المسرح

وترى الفرنسيس انفسهم في عصرنا شقُّوا عصا الطاعة فلم يعودوا يبالون بالوحدة في الزمان والمكان

ولقد أصلت قضيَّة الوحدات حربًا عوانًا بين الأئمة ولا حرب البسوس. وان تكن الادلة متشعّثة فمرجعها الى فريقين: انصار الوحدات وخصومها. فهؤلاء يقول لسان حالهم ما قال غوتّ «ويُضحكني ان يَبْرُن (١ ذاك الذي في حياتهِ كلِّها لم يلوِ على عنان ولم يعبأ قطّ بسُنَّةٍ قد رضخ لقاعدةٍ من أبلدِ القواعد اعني بها الوحدات الثلاث». واولا انك

(١ Lord Gordon Byron شاعر انكليزي في اوائل القرن الحاضر كان لهُ شأن خطير في انكلترة واوروبة توفي سنة ١٨٢٤

يذهبون مذهب فردريك (١ القائل في مجرى كلامه عن آداب اللغة الالمانيّة « انك تدخل احد المراسح في المانية لتحضر تمثيل رواية من روايات شكسبير (٢ فتجد هناك جمهوراً لا يتمالك حبوراً عند سماع هذه التهريجات (Farce) التي يمجها الذوق السليم وليست تليق بغير اعلاج الصحاري وهمج البراري . وقد دعوت (روايات شكسبير) باسم تهريجات لانها تخالف كل اصول الفنّ . وهذه الاصول ليست مباحةً يتصرّف بها مَن شاء كما شاء . بل تراها مصرّحاً بها في كتاب فنّ الشعر لارسطو (كذا) . حيث تعتبر وحدة المكان ووحدة الزمان ووحدة الواقعة كالوسيلة الوحيدة لتكون الرواية شائقة »

فليت شعري على ايّ القولَين نعتمد والى ايّ الفريقَين نستند ! فنجيب ان مَن نبذوا الوحدات وسخروا بها وبذويها لهم في ضلال مبين . لأنها ليست مجرّد اختلاق كما توهّموا بل قضت بوجوبها الطبيعة ودلّ عليها العقل . اما وحدة الواقعة فلا نعود الى البحث فيها اذ لم يختلف فيها اثنان بل جميع ارباب الفنّ قد رضخوا لحكمها كما سبق الكلام وعملوا بموجبها مع اتّخاذهم الجوازات الملائمة لروحهم وموضوعهم . فكأنّ كلاً منهم يقول مع كورنيل « ان مجرّد النظر العقلي وهو كان دستوري الوحيد هداني الى وحدة الواقعة »

اما وحدة الزمان فناتجة من وحدة الواقعة ومبنيّة مثلها على الطبيعة . فانّ الرواية التمثيليّة ليست الّا محاكاة وان شئت فقل صورة اعمال البشر . ولا خلاف في ان اتقان الصوَر يزيد بتقرّبها الى الحقيقة وحسن مطابقتها للاصل . فالرواية التي تمثلها في قليل من الساعات لا تزيد حسناً وكمالاً الّا اذا انحصرت واقعتها في القليل من الزمن . وكذلك قل عن وحدة المكان فانها لاحقة بالوحدتين . اذ يُستغرَب ان الواقعة التي تجري حوادثها في بضع ساعات تتمّ في اماكن بعيدة مختلفة . فالعقل لا يرضى بالمحال

لكن يا تُرى هل من الحكمة تحديد نطاق الزمان والمكان وحصر المؤلفين ضمن حلقة ضيّقة تضغط عليهم كما فعل الفرنسيس بانفسهم في القرنين السالفين فقاسوا من جرّاء ذلك مرّ العذاب فحرموا ذاتهم وحرمونا من روايات بديعة اعرضوا عنها اذ لم

---

١) فردريك الثاني المعروف بالكبير . ملك على بروسية من سنة ١٧٤٠ الى ١٧٨٦

٢) Shakespeare اعظم ارباب هذا الفنّ عند الانكليز (١٥٦٤–١٦١٦)

يمكن حصرها في النطاق الضيق المفروض. ولو افسحوا لانفسهم في المجال لما اصابهم ما اصاب ولما ركبوا متن الشطط في بعض المواضيع فقدّروا المستغرب وصوّروا المستحيل كلّ ذلك مراعاةً لوحدة الزمان والمكان. وايمُ الله لسنا نجحد فضلهم وجليل خدمتهم في جانب الاصول وعظم مقدرتهم التي ذلّلت لهم الصعاب. وليس يخفانا ما اتوا به من فرائد الروايات البالغة من الكمال حدّ الاعجاز حتى بنوا لهم من المجد منزلًا رفيع العماد لا تطمح اليه الابصار

وما كنّا لننكر انّ الرواية تزيد اتقانًا كلّما زادت تشبّهًا بالحقيقة. وان منتهى الكمال فيها يتمّ بانحصار واقعتها في مكان واحد وساعات قلائل اي الزمن اللازم للتمثيل. لكن مَن يقوى على إدراك هذه الأمنيّة غير مَن زانهم الله مثل هؤلاء الشعراء الابجاد بالمواهب السامية والمقدرة العجيبة. وما امثالهم بكثيرين. على أنّهُ ما لا يُدرَك كلّهُ لا يُترَك جلّهُ. وليس علينا ان نظلم انفسنا باعتقادنا كما اعتقدوا انّهُ ضربة لازب انحصار زمان الواقعة ضمن ٢٤ ساعة او ٣٠ وانحصار مكانها في نطاق منزل او مدينة فقط

ولا عبرة بما نسبهُ فردريك وغيرهُ الى ارسطو ممّا هو بَرَاءٌ منهُ. فانّ هذا الإمام كما لا يخفى جزم بوجوب وحدة الواقعة ولم يقل شيئًا صريحًا عن الزمان والمكان. فكأنّهُ ادرك بحكمته البالغة ان شأنها يختلف باختلاف البلاد والاعصر. فلذا لم يضع لها حدًّا محدودًا بل تركها وشأنها. ولا عبرة ايضًا في هذا الصدد بمثل اليونان واضعي هذا الفنّ وأئمته. فانّ رواياتهم لم يكن يتخللها فترة قطّ بل كانت متواصلة من غير انقطاع حتى النهاية لا ينزل فيها ستار ولا يُفرق بين فصولها غيرُ ادوار الغناء. وما الغناء عندهم الّا جزء من الرواية يربط بين وقائعها المختلفة. فهل كان يمكنهم والحالة هذه الّا حصر الزمان والمكان في اضيق نطاق. ومع ذلك نرى بعضهم قد خالف هذه السُنّة وهي اوجب عليهم. فكيف بنا وقد تغيّرت معنا الحال. اذ توفّرت لدينا المعدّات التي تمثل باتقان ما شئنا من الاماكن والبنايات المختلفة حتى يخيّل للناظر اننا في مكان الواقعة الحقيقيّ لا في مرسح التمثيل. فضلًا عن ان الستار بنزوله في آخر كلّ من الفصول يحجب عنّا المشهد السابق ويترك لنا فترة للراحة وتنزيه الافكار حتى نكاد مع حفظنا التامّ لحالات الاشخاص نذهل عمّا رأينا من المناظر فلا ينكشف الستار عن مشهدٍ

جديد الا ترانا انتقلنا الى مكان آخر يلوح لاعيننا في الفصل التالي. ولا ريب ان الفترة بين الفصلين تساعد كثيراً على التخييل فيسهل للحاضرين التقدير ان الاشخاص تمكّنوا في خلالها من الاسفار والمخابرات وجميع الاعمال والمساعي اللازمة لتأييد او إحباط المسعى. سيما وان ادوات النقل السريع كثيرة في عصرنا لا يحصرها عدّ وسهولة المعاملات المتنوّعة لا تقف عند حدّ. فبتنا بفضل البخار والكهرباء لا يفقعنا شيء ولا نستغرب امراً. فكيف نستغرب انتقال شخص او اشخاص من مكان الى آخر في زمن يسير

فاصبح يحقّ لنا ان نكسر تلك الحلقة الحديدية التي ضيّق علينا بها رجال القرن السابع عشر ونوسّع نطاق الزمان والمكان في رواياتنا. لكن اياكا ان نتجاوز الحدود ونستبدّ بالوحدات على مقتضى الهوى كما فعل لوپز دي ڤيكا (١ فانّ في رواياته يبدو الشخص فتىً في الفصل الاول وشيخاً في الاخير. ولكم من كبار المؤلفين جرَوا على هذه الطريقة المنكرة. وليس يُغتفر لهم مثل هذا الشطط الا في جانب ما حوت رواياتهم من العظمة وانواع الكمالات الحرية بالاعتبار وخلاصة القول ان حبّ التناهي غلط وخير الامور الوسط. فكلّ ما راعى جانب الاحتمال وحسن المحاكاة مقبول ومشكور. وما عداه فهو مردودٌ ومرذول

٤ ادب الرواية

لقد سبق لنا الكلام عن المنافع العظمى الناجمة عن الرواية التمثيلية اذا روعيت شروطها وتحرّى فيها الكاتب غايتها الشريفة ألا وهي توفير اسباب اللذة مع الفائدة. كما بيّنا الاخطار والاضرار الجسيمة الناتجة منها اذا حاد المؤلف عن جادّتها القويمة. ولا بدع فان هذا الفنّ لهو اقوى الفنون فعلاً بالنفوس واشدّها تأثيراً في القلب والدماغ واعظمها اقتداراً على النفع او الضرّ. فهو اشبه بالنهر الكبير الطامي يروي الحيوان والنبات ويُكسب الاراضي خصباً ويكون للانسان خير نصير في معامله ومصانعه ما دام منحصراً في مجراه لازماً حدوده الطبيعيّة. لكن اذا طغى وخرج عن

(١ Lopez de Vega من اعظم شعراء الاسبان عاش ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد وضع نحو ألفَيْ رواية تمثيليّة

خطّته وتعدّى نطاقهُ فانّهُ يغرّق الناس والمواشي ويخرب الارزاق ويهدم الابنية ويسبب من الاضرار ما لا يعلمهُ غير الله

فوالحالة هذه لا إخالني اوفّي البحث حقّهُ في ادب الرواية ومراعاة حرمته سيّما واني قلّما اجد روايةً عربية خاليةً من الشوائب خالصةً من الادران كأنّ اصحابها لا همّ لهم سوى توفير اللذّة للحاضرين ولو سقوهم بها السمّ في الدسم. وفي مثل هؤلاء الكتبة يصح قول نيكول (Nicole) احد مشاهير القرن السابع عشر. فانّهُ يعتبر اصحاب الروايات الفاسدة أشأم من القتلة بالسمّ ويُلقي عليهم تبعة الشرور والبلايا المسبّبة عن مؤلفاتهم. وجميع ارباب هذا الفنّ من ذوي العقل الراجح والذوق السليم يرتأون هذا الرأي. ولعمر الحق يضيق بنا المقام عن ذكر ما قالوا في هذا الشان. فنجتزئ بما يُعلمنا بوالو وما هو الّا ناطق باسان حال الجميع ومُورد خلاصة افكارهم اذ يقول: « ايها الراغب في استمالة الناس الى كتابتك عليك ان تزيّنها بالتعاليم الصالحة وتجمع في كلٍّ من اجزائها بين اللذة والفائدة. فان العاقل يعاف ما لا جدوى منهُ ويرغب في ان يجني من اللذة فائدة. ولتكن مؤلّفاتك رسمَ نفسكَ وأخلاقك فلا يبدو منك بهذا الرسم الّا صورٌ شريفة. وما كنتُ لأجلّ الكتبة الخطرين الذين يتخلّفون عن صفوف الشرف ويخونون راية الفضيلة اذ يُبرزون الرذيلة في معرض يستميل اليها القلوب .... عليك بحبّ الفضيلة ولتتشرّبها نفسك. فعبثاً تجود القريحة المتوقدة فانّ من خلال الاسطر تلوح دنايا الفؤاد ». وما احسن ما قال هذا الامام ايضاً في آخر ايّامه. « انّ للكاتب المدقع على الموت لتعزيةً كبرى بانهُ لم ينتهك قطُّ حرمةَ الادب »

امّا وقد وعينا ما يعلمنا الائمة ويرشدنا اليه العقل وتقتضيه منّا غاية الرواية فعلينا ان نجعل رواياتنا كما يتمنّى الشاعر راسين «مدرسة فضائل » فنتحاشى ما يعجُّهُ الذوق السليم او تنفر منهُ الآداب الصحيحة. ويتمّ ذلك اذا راعينا الشروط الآتية: ١ً لا يسوغ ان تظهر على المسرح الفظائع والفواحش والمفاذر التي تعافها القلوب وتستكف منها النفوس ٢ً لا يجوز ابراز الفضيلة بمظهر يعرضها للهزء او يحطُّ من قدرها. كما لا يجوز ان تدور عليها الدائرة في الختام فتبدو بموقف الخسارة والفشل ومقام الانخذال والذلّ. بل يجب ان يكون لها الفوز الواضح للعيان في الدنيا او في الآخرة ٣ً لا يليق وصف الاهواء والرذائل وصفاً يحبّبها الى الحاضرين او عرضها بمعرض يستهوي القلوب. بل

يقتضي ان لا يراها الجمهور الّا في هيأة تهيج الاستخفاف والسخرية او النفرة والكراهية . وان لا تكون العاقبة الّا وبالًا عليها سريعًا . لا يصح ان تخلو الرواية من مغزى حميد ونتيجة ادبية مفيدة (ستأتي البقية)

حال الخلف بازاء من سلف

وهي نبذة في اصل الكلدان النصارى واتساع ملّتهم ولغتهم

لحضرة القس قرياقوس عنوق المحترم (تتمة ما سبق)

٥

فهذا الانتشار العظيم الذي انتهت اليه النصرانيّة في المشرق لدى الكلدان قد كان نتيجة بشارة اولئك الرسل الابطال الذين «في كلّ انحاء المعمور ذاعت كرازتهم وفي اقطار المسكونة كلامهم». ومنذ ذلك الحين فالى عهد النسطرة لم يزل بند البشارة خافقًا ومعزّزًا ومنصورًا والى يومنا هذا لم تفتأ الكنيسة الكلدانيّة تفتخر بهؤلاء الرسل الافاضل وتتغنّى بمديحهم بكرةً وعشيًّا وغدوًا وآصالًا بما تعربهُ: «لتكن صلاة وطلبة وابتهال واستعطاف ابينا الطاهر القديس مار توما الرسول الطوباوي ومار ادي ومار ماري متلمذي المشرق سوداً شاخًا وملاذًا منيعًا لنا دائمًا الخ»

فمن هذا الابتهال ترى انّ الكنيسة الكلدانيّة تعتبر هؤلاء الرسل الثلاثة من اعظم رسلها لانهم بنوع خاصّ وبحبّ متقد نظروا الى هذه الاصقاع وزرعوا فيها بذر الايمان. وهم الذين اسّسوا فيها الكنائس وشادوا الاديرة وسنّوا الرسوم البيعيّة والطقوس المشرقيّة وعملوا وعلّموا في هذه الديار اكثر من غيرهم وتجشّموا المتاعب والمصاعب في تشييد الدين المسيحي وتقويم اركانه ونصب الاسقفيّات الكبرى او هي المطرنيّات فان اغلب المطرنيّات المذكورة في الجدول السابق كانت من وضع الرسل اذي وماري وتوما

وروى المؤرّخون الشرقيّون ان المجوس الذين سجدوا للمسيح هم اوّل الذين نادوا بالنصرانيّة في اصقاع المشرق وممن يُذكر ايضًا مع متلمذي المشرق الرسل العظام شمعون الصفا وبرثلمي ومتى ويهوذا بن يعقوب وهو لبّي ويدعى تدّي ايضًا. فان المجوس وإن